ردمد
٢٥١٨-٩٢٧١
ردمد الالكتروني
٢٥١٨-٩٣٦٠

ديوان الوقف الشيعي
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات الافريقية

مجلة دراسات افريقية

مجلة فصلية محكمة
تعنى بشؤون القارة الافريقية
تصدر عن مركز الدراسات الافريقية

العدد
الثاني والعشرون
المجلد الثالث
شهر رمضان ١٤٤٧ هـ
آذار - ٢٠٢٦ م

مجلة دراسات إفريقية

Journal Homepage: http://studies.africansc.iq/
ISSN: 2518- 9271 (Print) ISSN: 2518- 9360 (Online)

أعضاء هيئة التحرير

ت	الاسم	التخصص	الجامعة	الدولة
١	أ.م أمجد زين العابدين طعمة	علاقات دولية	الجامعة المستنصرية	العراق
٢	أ.د. ذاكر محي الدين عبد الله	تأريخ إفريقيا	جامعة الموصل	العراق
٣	أ.د. نوار جليل هاشم	علاقات دولية	الجامعة المستنصرية	العراق
٤	أ.د. محمد محمار جي	تاريخ إفريقيا	الجامعة الإسلامية بمنيسوتا	الولايات المتحدة
٥	أ.د. عبد الله الفيكي البشير	تاريخ إفريقيا	جامعة الخرطوم	السودان
٦	أ.د. أحمد عبد الدايم محمد	تاريخ إفريقيا	جامعة القاهرة	مصر
٧	د. ياسر محمد العبيد	الاقتصاد الإفريقي	جامعة إفريقيا العلمية	السودان
٨	د. أبو بكر فضل محمد	باحث في الدراسات الإفريقية	مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الاحمر	السودان
٩	أ.م.د. إبراهيم برمة أحمد	الحضارة الإسلامية	جامعة الملك فيصل	تشاد
١٠	أ.م.د. سايو بابا دينى	دراسات إفريقية	جامعة الهدى	بوركينا فاسو
١١	أ.م.د. سعيد ناسرى برونغوا	الحضارة الإسلامية	جامعة الزيتونة	تونس
١٢	أ.م.د. نافع جميل خلف الهلال	العقيدة والفكر الإسلامي	جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية	العراق
١٣	د.عبدالوهاب الطيب بشير	علوم سياسية	مركز البحوث والدراسات الإفريقية – جامعة إفريقيا	السودان
١٤	أ.م. عماد الدين حسين بحر الدين	الدراسات الإستراتيجية	الزعيم الأزهري/ معهد البحوث والدراسات السودانية والدولية	السودان

المجلد الثالث
العدد الثاني والعشرون

مجلة دراسات إفريقية

شهر رمضان ١٤٤٧هـ
آذار ٢٠٢٥م

volume 3
Issue 22

Journal of African Studies

Ramadan 1447
March . 2026

المحتويات

التحولات الجيوسياسية في منطقة الساحل الإفريقي: بين التدخلات الدولية وتنامي الجماعات المسلحة (٢٠٢٠– ٢٠٢٥)	أزهر محمود سليمان محمود العجيلي	٢٣
الدور الإسرائيلي في اغتيال الدكتور جون قرن	عماد الدين حسين بحرا لدين عبدالله	٦٥
السياسات (الإسرائيلية) في جمهورية الكونغو الديمقراطية: دراسة في الأهداف والتداعيات	**نسرين محمود طولان**	١٠٣
المؤسسة العالمة الغربيّة وإنتاج المعرفة حول العالم العربي إفريقيا: مقارنة مجلّة السياسة الخارجيّة	محمد البشير رازقي	١٤١
أوغستينو نيتو؛ حياته ونضاله السياسيّ حتى عام ١٩٦٢	عذراء شاكر هادي	١٨١
بين لهجة العرب الشُوَا والعربية الفصحى دراسة مقارنة في خصائصهما والمستوى الصوتي	عبدالكافي عثمان البشير	٢٢٣

المجلد الثالث
العدد الثاني والعشرون

مجلة دراسات إفريقية

شهر رمضان ١٤٤٧هـ
آذار ٢٠٢٦م

volume 3
Issue 22

Journal of African Studies

Ramadan 1447
March . 2026

دور الجماعات المسلحة في زعزعة الأمن الإقليمي في شرق ووسط إفريقيا: جماعة (٢٣ مارس أنموذجاً)	مريم أيمن السيد	٢٤٧
ماهية التدخل الفرنسي الإيطالي على الاستقرار السّياسيّ اللّيبيّ في الفترة من (٢٠١٤-٢٠٢٠م)	محمد زين سليمان حماد	٢٩٣
قرار حكومة جنوب إفريقيا بنقل سفارة تايوان من بريتوريا في ضوء العلاقات الاستراتيجية مع الصين: دراسة في الأبعاد والتداعيات	رحمة جمال أحمد	٣٢٧
مفهوم القبائل البدائيَّة للدين في إفريقيا جنوب الصحراء	بشار أكرم جميل ذاكر محي الدين عبد الله	٣٧١
شخصية العدد: الأستاذ الدكتور صادق السوداني	بسام رضا محمد	٤٠٣
عرض كتاب: تاريخ جزر القمر (تحقيق مخطوطة القاضي عمر بن أبي بكر الشريازي)	محمد تقي المبارك	٤١١

مفهوم القبائل البدائيّة للدين
في إفريقيا جنوب الصحراء

مجلة دراسات إفريقية

Journal Homepage: http://studies.africansc.iq/
ISSN: 2518- 9271 (Print) ISSN: 2518- 9360 (Online)

مفهوم القبائل البدائيَّة للدين في إفريقيا جنوب الصحراء

أ.د. بشار أكرم جميل
قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل
bashar.a.j@uomosul.edu.iq

أ.د. ذاكر محي الدين عبد الله
قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل
Thaker.m.a@uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام:
٢٥/ ١/ ٢٠٢٦
تاريخ القبول:
٣٠/ ١/ ٢٠٢٦
تاريخ النشر:
١/ ٣/ ٢٠٢٦

الكلمات المفتاحية:
إفريقيا، القبائل البدائيَّة، مفهوم الدين، الآلهة.

المجلد الثاني العدد (٢٢)
شهر رمضان - ١٤٤٧هـ
آذار ٢٠٢٦م

ملخص البحث:

يختلف مفهوم الدين لدى الشعوب باختلاف ثقافة الشعوب وقربها من مراكز الحضارة، سيما تلك التي تعتنق شعوبها ديناً سماوياً. وقد يعاني الناس من الظلم والاضطهاد في ظل الوثنية التي تفرق الناس وتقسمهم إلى طبقتين، الأولى متنفذة وتسيطر على رقاب من ينتمون إلى الطبقة الثانية الفقيرة والضعيفة. ولعل فكرة الدين لدى سكان شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام خير مثال على ذلك، إذ فهم زعماء القبائل الدين على أنه تسلط أغنياء قريش وسائر القبائل على العبيد والفقراء، وتسخيرهم لخدمة سادة قريش بالسيطرة على أنفسهم وأموالهم إن وُجدت، بل وحتى أفكارهم. ورغم اختلاف فهم الدين بين هذه الشعوب، إلَّا أن هناك نقاط اتفاق بين المعتقدات الدينية التي تنبع من فهم فردي للدين، ومن ثم تُشكل فهماً مشتركاً للمجتمع ككل. وسيكون هذا الفهم السابق محور هذا البحث. وسنحاول توضيح ذلك من خلال استعراض مفهوم الدين والعبادة عند القبائل الإفريقية.

The concept of religion among primitive tribes in sub-Saharan Africa

Prof. Dr. Bashar Akram Jameel
Department of History
College of Arts/University of Mosul
bashar.a.j@uomosul.edu.iq

Prof. Dr. Thaker Muhialdeen Abdullah
Department of History/College of Arts/University of Mosul
Thaker.m.a@uomosul.edu.iq

Received:
25/1/2026
Accepted:
30/1/2026
Published:
1/3/2026

Keywords:
Africa, primitive tribes, concept of religion, gods

Journal of African Studies
volume (3)
Issue (22)
Ramadan 1447 H

Absrract

The concept of religion among peoples varies according to the culture of the peoples and their proximity to the centers of civilization, especially those centers whom their peoples embrace a heavenly religion. People may suffer from injustice and persecution under paganism, which separates people and divides them into two classes, the first of which is influential and have control over the necks of those belonging to the second poor and weak class. The idea of religion among the inhabitants of the Arabian Peninsula before Islam may be an example for that, where the leaders of the people understood religion as the domination of the rich of Quraysh and other tribes over the slaves and the poor, and harnessing them to serve the masters of Quraysh by controlling their souls, their money ,if they had any, and even their thoughts. Despite the difference in the understanding of religion among these peoples, there are points of agreement between religious beliefs that stem from individual understanding of religion and then form a common understanding for whole the society. This previously mentioned understanding will be the point of focus of this research. We will attempt to clarify it by reviewing the concept of religion and worship among African tribes.

مقدمة:

يُعد الدين في القارة الإفريقية ظاهرة محورية لا يمكن فصلها عن النسيج اليومي لحياة الفرد والجماعة. وعلى خلاف النظرة الغربية الحديثة التي قد تفصل بين "الديني" و"الدنيوي"، فإنَّ الإنسان في المجتمعات الإفريقية التقليدية (أو ما اصطُلح عليه تاريخياً بالقبائل البدائيَّة) يعيش في كونٍ مشبع بالروحانية. إنَّ الدراسة المتعمقة لهذه المعتقدات تكشف لنا عن أنظمة فكرية واجتماعية معقدة، وليست مجرد طقوس عشوائية كما صورها بعض المستشرقين الأوائل.

إشكالية البحث: ينطلق هذا البحث من إشكاليةٍ رئيسيةٍ تتمحور حول "كيفية إدراك وتفسير القبائل الإفريقية للوجود والقوى الغيبية". ويجدر التنويه هنا إلى أنَّ استخدام مصطلح "بدائية" في هذا السياق لا يحمل دلالة الانتقاص العقلي أو الحضاري، بل يشير إلى "الأولية" والبساطة في التركيب الاجتماعي والاعتماد المباشر على الطبيعة، وهي المجتمعات التي لم تدخلها الأديان السماوية الكبرى (كالإسلام والمسيحية) أو تأثرت بها بشكل جزئي مع احتفاظها بجوهر موروثها القديم.

فرضية البحث: يتميز جوهر المفهوم الديني لدى هذه القبائل بعدة خصائص جوهرية سيناقشها هذا البحث، وهي:

١-الشمولية: الدين ليس طقساً يُمارس في يوم محدد، بل هو أسلوب حياة يشمل الزراعة، الصيد، الزواج، والموت.

٢-قوة الأسلاف: الإيمان بأن الموت ليس فناءً، بل انتقالاً إلى مرتبة "الأسلاف" الذين يراقبون الأحياء ويؤثرون في مصائرهم.

٣-الأرواحية (Animism): الاعتقاد بأن لكل شيءٍ في الطبيعة (شجر، حجر، نهر) روحاً وقوة كامنة يجب احترامها والتعامل معها بحذر.

٤-الإله الأسمى: رغم تعدد الأرواح، تؤمن غالبية هذه القبائل بوجود "خالق

أعظم" أو قوة عليا، لكنه غالباً ما يكون بعيداً عن شؤون البشر اليومية، مما يستدعي الحاجة للوسطاء (الكهنة، السحرة، الأرواح).

أهمية البحث: تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة تصحيح المفاهيم المغلوطة حول "الوثنية" الإفريقية، وإبراز الوظيفة الاجتماعية والنفسية التي يؤديها الدين في تماسك القبيلة، وضبط السلوك الأخلاقي، وتفسير الظواهر الطبيعية الغامضة في بيئة قاسية.

منهجية البحث وأهدافه: سيعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لاستعراض أهم السمات المشتركة بين العقائد الإفريقية المختلفة، محاولاً الإجابة عن التساؤل: إلى أي مدى شكلت هذه المعتقدات "البدائيَّة" منظومة قيمية حفظت بقاء هذه المجتمعات عبر القرون؟

الإطار الزماني والمكاني للبحث: تدور الأحداث التَّاريخيَّة للبحث على الرقعة الجغرافيَّة التي اطلق عليها المؤرخون والجغرافيون اسم بلاد السودان، وسميت من قبل المؤرخين المعاصرين العرب والغربيين " إفريقيا جنوب الصحراء "، وحدود تلك البقعة الجغرافيَّة واسعة يحدها من الشمال الصحراء الكبرى ومن الجنوب الغابات الاستوائية المطيرة، ومن الشرق البحر الأحمر والمحيط الهندي، ومن الغرب المحيط الأطلسي، أما الإطار الزماني للبحث فهو يمتد خلال القرون الخامس وحتى نهاية العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، إذ يمثل الخامس الهجري بداية الكتابة التَّاريخيَّة الإسلامية الفعلية عن تاريخ المنطقة، فيما يمثل القرن العاشر بداية فعلية للتدخل الاستعماري الغربي فيها.

مفهوم القبائل البدائيَّة للدين:

حينما نتناول البدائيَّة في إطار البحث والتقصي فإن المُراد فيها هو القدم والبساطة وربما البُعد عن مراكز الحضارة والقرب من الانعزال والانفراد، وبحكم الطبيعة الجغرافيَّة في إفريقيا جنوب الصحراء فإن الكثير من القبائل الإفريقية كانت تعيش في أماكن تكاد تكون اقرب إلى الغابات الاستوائية اكثر من قربها من الحافات الجنوبية للصحراء الإفريقية والتي تجعلها اقرب إلى موطن البربر في الصحراء أو شمالها، ولهذا كان المؤرخين المسلمين يعلنون صراحةً أنَّ من يقترب من الأفارقة من أماكن سكن المسلمين يكون اكثر تحضراً واحتشاماً، فيما يكون البعيد عن تلك الأماكن اكثر بدائية والتي تجعله لاديني ومتعري وغير ملتزم بشرع أو قانون.

والدين بالنسبة لجميع الشعوب هو القاعدة الأساسية لحياة ذلك الشعب، كما أنَّ الدين استخدم من قبل الكثير من الساسة وأصحاب رؤوس الأموال للربح وتسيير وتثبيت سلطانهم على شعوبهم، فقد شكل الدين العنصر الفعال في حياة مجتمع إفريقيا جنوب الصحراء، وفي ذلك يقول المؤرخ الفرنسي موريس دولافوس: ((ما من نظام يشاهد بين قبائل إفريقيا السوداء سواء أكان نظاماً اجتماعياً أم سياسياً أم اقتصادياً ألا وهو يرتكز على فكرة دينية، أو يكون الدين فيه هو حجر الزاوية..))[١].

على أن الفكرة الدينية تلك قد اتخذت أشكالا متعددة جعل من العسير حصرها وتبويبها[٢]، وكثيراً ما يسودها التشويش، ويطغى عليها السحر والشعوذة لاسيما وأنَّ أغلب تلك المعتقدات قد تناقلها معتنقوها بطريقة شفوية[٣]، ومن ثمَّ فإن دراسة الأديان في إفريقيا جنوب الصحراء عموماً تكتنفها صعوبات كبيرة، ومما هو شائع فإنَّ أغلب تلك المعتقدات الإفريقية تلتقي عند أساسٍ واحد، وهو عمق الإحساس

(١) نقلاً عن هوبير ديشان، الديانات في إفريقيا السوداء، (القاهرة:١٩٥٦)، ص ٩.

(٢) ديشان، الديانات، ص ١٠٨.

(٣) هيرفة روسو، الديانات، ترجمة: متري شماش، (بيروت: د. ت)، ص ٢٦.

بالروابط الوثيقة التي تربط المجتمع البدائي بالبيئة الطبيعية التي تعيش في كنفها وعلى نظامها الفرد إفريقية[١].

وتنوعت عبادات السودان وتعددت اتجاهاتها قبيل الإسلام، إذ لم يكن هناك ديانةٌ سماويةٌ واضحة يعتنقونها، وقد وصفهم الأنصاريّ بما نصه: ((ولم يوجد فيهم النواميس ولم يُبعث فيهم رسول، فالخلق الذي يوجد في غرائزهم قريب مما يوجد في أخلاق البهائم من سجاياها الموجودة فيها من غير تعلم..وطاعتهم لملوكهم وأكابرهم إنما هو لإقامة الأحكام فيهم والسياسات كما ترى في الوحوش))[٢]، وأما المؤرخ الوزان فيصفهم بقوله: ((فهم غلاظ بلا عقل، بدون ذكاءٍ ودون خبرة، وهم مجردون من جميع مظاهر المعرفة، ويعيشون كالبهائم بدون قواعد ولا شرائع، وتكثر فيهم البغايا، باستثناء القليل منهم، من الذين يسكنون المدن الكبرى، والذين لديهم بعض الشيء من الكرامة الإنسانية))[٣]، ولهذا السبب التجأ السودان إلى عبادة ما لا يستطيعون مجابهته من عوامل الطبيعة، فمنهم من ركز على عبادة الحيوانات، ومنهم من عبد أرواح الأسلاف، وآخرون قدسوا حكامهم، أو اتبعوا المجوسية، فضلاً عن عبادات أخرى، إلا أن المشترك بين كل تلك العبادات، هو ارتكازها على تقديس الأرواح والخوف منها.

إن مفهوم الأفارقة للدين تمثل في قناعتهم بأن الطبيعة ضمت أعز شيء على قلوبهم وهي أرواح أجدادهم الذين كانوا يكنون لهم كل الاحترام في حياتهم، والاحترام الممزوج بالخوف بعد مماتهم، فاعتقد بعض السودان بخلود النفس بعد هلاك الجسد، وأنَّ الروح هي المبدأ الأساسي المنظم للكون، إذ ساد الاعتقاد بأن

(١) نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، (دمشق:١٩٦٥)، ص ٣٤.

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بشيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (لايبزك:١٩٢٣)،ص ٢٧٣.

(٣) الحسن بن محمد الفاسي الوزان، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، (الرباط:١٩٨٢) :١/ ٩٩.

أرواح الموتى تبقى قريبة الصلة بعالم الأحياء، وأن لهذه الأرواح وحسب معتقداتهم القدرة على تحقيق الخير أو الشر، وقد جرى العُرف بينهم على تقديم القرابين لأرواح الأسلاف في المناسبات المختلفة[١]، وتمثل هذه القرابين عادة في مقادير معينة من الحبوب أو الثمار أو في بعض ما يمتلكونه من الماشية[٢]، وكان الأفارقة قد اقتنعوا بأنَّ الأسلاف هم الذين سنُّوا لهم تقاليدهم، ووضعوا أعرافهم، وفرضوا على خلفهم من بعدهم احترام ما سنَوا، وأي خارج على ما أورثوه من سنن لن يفلت من عقوبتهم، كما كانوا يعتقدون بعدم فناء الميت، لأنَّ الروح تبقى وتنتقل إلى عالمٍ آخر، وأن ذلك العالم غير بعيد عن الأحياء فكانوا يحترمون تلك الأرواح ويقدسونها ويلجئون إليها لطلب الشفاعة، أو لتحقيق الخير على الأرض[٣]،ويُعد ذلك الاعتقاد سبباً من أسباب تأخر الأفارقة حضارياً لارتباطهم الشديد بتراث أجدادهم، وخوفهم من الخروج عليه[٤].

وفي غرب إفريقيا اعتقدت بعض القبائل أن الروح تنطلق من ناحية الغرب ـ ويبدو أنَّ هناك ربطاً بين تلك الفكرة وغروب الشمس، فبغروبها يحل الظلام وتبدأ الأرواح بالظهور، وأنَّها في نفس الوقت تبقى إلى جانب قبر صاحبها[٥]، ولابد من تقديم

---

(١) محمود سلام زناتي، الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقيا، (بيروت:١٩٦٩م)، ص ٢٠٢؛ فوزية يونس فتاح، التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل:١٩٩٤)، ص١٦.

(٢) زناتي، الإسلام، ص ١٩٧.

(٣) جيمس كرستنس، الوظائف التكيفية للنظام الكهنوتي عند الأفانتي، بحث منشور في كتاب الثقافة الإفريقية، ص٥١١.

(٤) دريد عبد القادر نوري، تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء القرن ٤-١٠ه/ ١٠-١٦م، (الموصل:١٩٨٥)، ص٤٣.

(٥) ديشان، الديانات، ص١٨؛ عبد الرزاق محمد اسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، (بيروت:١٩٨١): ١/ ٣٠.

القرابين لإرضائها في المناسبات لاعتقادهم أن الموتى من الآباء والأجداد يهيمنون على الأبناء من وراء قبورهم، إذ أنهم المؤسسون للأسرة أو القبيلة، والقوامون على حفظ القانون والنظام والأخلاق، وأن لهم الحق في عقاب المذنبين ومكافأة الصادقين حسب اعتقادهم[١].

وكانت الأقنعة وسيلة من وسائل التخاطب مع الأجداد، وعادةً ما يرتديها الأفارقة في الحفلات المقدسة، إذ يعتقدون أنَّ الإنسان يبدو بوجهه الحقيقي كونه يمتلك وجهان، وجه يظهر للعيان، وآخر خفي، وكان عيد الغول من بين الأعياد التي يرتدي فيها الأفارقة الأقنعة، وكان هذا العيد يقام للمقربين كالوالدين والزوجات[٢].

وبمرور الزمن اقتنع الأفارقة أنَّ حكام البلاد (الملوك) هم الآلهة أو على الأقل ممثلوها على الأرض، فالحاكم هو المتسلط الوحيد على رقاب الناس وهو الأمر الناهي، وإنَّ روحه بعد مماته ستدخل نفس المقام المقدس الذي دخلته أرواح الأسلاف، ففي دولة كانم[٣] ظهر تقديس الملوك، فكان الملك أو الماي[٤] محل تعظيم من قبل رعيته، وقد وصل هذا التعظيم قبل الإسلام حداً اعتقد فيه بعض الباحثين أنَّ الماي كان بمثابة الإله المعبود الذي تقدم له فروض الطاعة والولاء من قبل رعيته، وتنسب إليه

(١) ديشان، الديانات، ص ١٠٥؛ زناتي، الإسلام، ص ٢٠١ – ٢٠٢.

(٢) أدم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجيريا، (بيروت:١٩٦٥)، ص١١٦.

(٣) دولة كانم: وهي دولة نشأت في إقليم السودان الأوسط، وقد اقترنت حدود كانم في بداية تشكيلها بحدود مملكة الزغاوة، ويحيط بكانم من الشمال كوار وفزان، ومن الجنوب بحيرة كوري (تشاد)، كما ان كانم وصفت بأنها بلدة في نواحي دولة غانة جنوب المغرب.أنظر: أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد، كتاب الجغرافيَّة، (بيروت:١٩٧٠)، ص٩٤؛ أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، (بيروت: ١٩٦٨) :٧/ ١٥

(٤) الماي: لقب ملوك كانم، وتعني السلطان ويقابلها لقب مك Mek في السودان الشرقي. انظر: عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها حتى العصر الحديث، (بيروت:١٩٦٧)، ص ٥٢.

مصادر القوة الكهنوتية المقدسة، ولاسيما أنَّ المؤرخ والجغرافي ياقوت الحموي قد أشار صراحةً إلى مثل هذه الألوهية عند تسجيل أخبار (زغاوة) سكان كانم: ((وديانتهم عبادة ملوكهم، ويعتقدون أنهم الذين يحيون ويميتون، ويمرضون ويصحون ... ويد (ملك زغاوة) مطلقة في رعاياه، ويسترق من يشاء منهم ... وهم يعظمونه ويعبدونه من دون الله تعالى، ويتوهمون أنَّه لا يأكل الطعام ...))[١] وفي غياب المعلومات الدقيقة عن ملوك زغاوة يصعب تأكيد أو نفي ما جاء في كتاب الحموي عن ألوهية ملوك كانم قبيل الإسلام، وإنْ كان لا يستبعد ذلك في خضم تلك المعتقدات الوثنية المتنوعة، ولاسيما أنَّ الطابع الغالب على المعتقدات الوثنية عموماً هو ((عدم الفصل بين الدين والمجتمع، فالدين مصدر قوة الحاكم في رعاية شعبه، والحاكم يعتمد على أسس دينية تدعم مركزه وتقوي أركانه))[٢] وأنَّ تقديسهم للملوك نابع من اعتقادهم أنهم يمثلون الواسطة بينهم وبين آلهة أخرى، مما دعا المؤرخ البكري إلى إطلاق صفة الإشراك عليهم[٣].

وأمام هذا الفهم للدين المرتبط بالروح في إفريقيا جنوب الصحراء أقتنع السكان بحلول تلك الروح في حيوان ما أو حتى في جماد لتكون قريبة من الإنسان، فقدست القبائل الإفريقية كائناتٍ حيةً نباتيةً وحيوانيةً كانت لها مكانة محترمة لدى القبيلة، اعتقدوا أنَّ أجدادهم الأولين منحدرون منها، أطلق عليها في وقت متأخر

---

(١) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت:د/ ت): ٣/ ١٤٢؛ شوكت عارف محمد، دولة كانم الإسلامية دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية من القرن ٥-٨هـ/ ١١-١٤م، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل:١٩٩٦)، ص٢٣.

(٢) محمد عبد الله النقيرة، انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له، (الرياض: ١٩٨٢م)، ص ٤٣.

(٣) البكري، المُغرب، ص١١.

أسم الطوطمية[١]، وهناك طوطم الشخص وطوطم الجنس والقبيلة[٢]، ورأت بعض القبائل أنَّها من سلالة الفهد، ومن قبيلة الماندنغ[٣] – في أعلى النيجر – من يعتقد أنَّه في ظلّ حماية الحيوان[٤]، وبدأوا بعبادة الحيوانات كالأفاعي، لأنهَّم وجدوها قريبة الصلة بالإنسان، ولها أرواح كأرواح البشر، وبعضها شرير؛ لذا كانوا يمتنعون عن اقتناصها أو أكل لحومها، ويتخذون من الشعائر ما يكفل لاستبعاد أذاها، أو لاعتقادهم أنَّ أجدادهم الأولين منحدرين منها[٥].

إذ كان سكان مدينة زافون[٦] يعبدون ((ثعباناً عظيمًا له عرف وذنب، ورأسه

---

(١) الطوطمية: وهي نظرية وضعها مكلينان المتوفى سنة ١٨٨١م وتنص على أن الطوطمية دور مر على القبائل البدائيَّة وتقوم على اتخاذ القبيلة حيواناً أو نباتاً، كوكباً أو نجماً أو شيئاً أخر من الكائنات المحسوسة أباً لها تعتقد أنها من سلالته، وأنه يقوم بحمايتها من أي خطر. أنظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت:١٩٦٩)، ص٥١٨؛ حسين علي حمد، قاموس المذاهب والأديان، دار الجيل، ط١، (بيروت:١٩٩٨م)، ص٢٢.

(٢) وقد ظهرت كلمة طوطم ـ Totem ـ كمصطلح في علم الأجناس لأول مرة عام ١٧٩١م؛ وللمزيد انظر: علي سامي النشار، نشأة الدين والنظريات التطورية والمؤلهة (الإسكندرية: ١٩٤٩)، ص٩٠ ـ ١٧٧؛ الالوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص ١١٥؛ جرجي زيدان، طبقات الأمم، (بيروت: ١٩٦٩)، ص ٤٩ ـ ٥٠.

(٣) قبيلة الماندنغ: وهي إحدى القبائل الإفريقية في غرب إفريقيا، وموطنها الأصلي ضمن حدود إمبراطورية مالي الإسلامية، ويتوزع أفرادها حالياً ضمن دول غامبيا ومالي والسنغال وساحل العاج وسيراليون، واطلق على هذه القبيلة تسميات أخرى مثل الماندينكا والمالينكه والماندنجو. ينظر: قداح، حضارة الإسلام، ص٧٩.

(٤) قداح، حضارة الإسلام، ص٣٥.

(٥) زناتي، الإسلام، ص ٢٠٥.

(٦) زافون: مدينة في بلاد السودان المجاورة للمغرب وهي متصلة ببلاد الملثمين. انظر: الحموي، معجم البلدان: ٣/ ١٢٧. ويسميها البكري (زاففوا). أنظر: البكري، المُغرب، ص١٧٣.

كرأس البختي))[١]، وكان لهذا الثعبان مكانة كبيرة في حياتهم، من خلال إشراكه في عملية اختيار حكام البلاد، والمتمثلة في جمعهم لأولاد الحاكم المتوفى من حكامهم في مكان تواجد ذلك الثعبان، فيتقرب منهم الواحد بعد الآخر، وحينما ينفخ في وجه أحدهم يصبح ذلك الشخص هو الحاكم القادم، ويقوم بإتباع الثعبان وهو عائد إلى مغارته ويقطع من ذنبه أو عرفه شعرات، فيحكم بعدد ما قطع منها، وهي سنَة متبَعة لديهم[٢].

وينتقد مؤلفٌ مجهولٌ ذلك الفعل لسكان المدينة بالقول: ((إنَّ هذه الفتنة فيهم إنما هي لأن الثعبان يُعَمر حتى يزيد على ألف سنة؛ ولأنَّ عقولهم في غاية الركاكة))[٣]، وكانوا يضعون أمام ذلك الثعبان نفيس الثياب والمتاع، وجفان الطعام وعساس اللبن والشراب[٤]، ويُعد هذا الأمر غاية في التخلف. إذ يذكر المؤرخ محمد بيلو عند كلامه عن إقليم برنو بقوله: ((حدثونا أنَّ لسلاطينهم وأمرائهم اليوم مواطن يركبون إليها، ويذبحون لها، ويرشون الدماء على أبواب قريتهم، ولهم بيوت معظَمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها))[٥]، وهي عادة عرفها سكان غرب إفريقيا أيضاً، ولهم فيها قدم

(١) البختي: من الأبل وجمعه بخاتي. انظر: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت:١٩٩٧) :٢/ ٢٥٠؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، (بيروت:١٩٩٥) :١/ ١٧.

(٢) البكري، المُغرب، ص١٧٣؛ أبي الحسن علي بن موسى المغربي، كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، (تطوان:١٩٥٨م)، ص١٥؛ محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، (بيروت:١٩٨٤)، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٣) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار وغرائب الأسفار، (الإسكندرية: ١٩٥٨م)، ص ٢١٩؛ نوري، تاريخ، ص٤٣.

(٤) البكري، المُغرب، ص ١٧٤؛ مجهول، الاستبصار، ص ٢١٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٣٢-١٣٣.

(٥) محمد بن عثمان بن فودي بيلو، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، (لندن:١٩٥٧)، ص٩؛ محمد، دولة كانم، ص٣٩.

وقد أشارت إلى ذلك العديد من المصادر والمراجع[١].

ولم يختلف مفهوم الدين في دولة غانة القديمة كثيراً، فقد قدست القبائل هناك الأفاعي وكان سكانها يقدمون كلَّ عامٍ إحدى الفتيات قرباناً لتلك الحية، وكانوا يحَرمون قتلها لأنها مصدر خير وسعادة، وإنَّ قتلها من وجهة نظرهم يولد مصائب لتلك المدينة، ويزعمون أنَّ الأفاعي كانت تحتفل بتتويج الزعماء الجدد بخروجها من أوكارها[٢]، كما كانت لديهم أسطورة تقول أن الإله الثعبان (واجادوبيدا) كان يقوم بحماية السونينك وزيادة ثرواتهم في مقابل ثمنٍ رهيبٍ كانوا يقدمونه عن طيب خاطر في احتفالٍ صاخبٍ يقام كلَّ عام، إذ يتم اختيار أجمل الفتيات لتقديمها قرباناً للحية[٣]. وكان خوفهم من الأفاعي وتقديسهم إياها قد تم بعد قيام مجموعة منهم بقتل الثعبان الذي كان يعبده أجدادهم، بعد أنْ ضجروا من بطشه بهم، إلَّا أنَّهم ندموا بعد قتله لأن محاصيلهم الزراعية تأثرت وتوقف سقوط المطر، وانتقلت مناطق الذهب إلى الجنوب[٤].

ويبدو أنَّ حقيقة الأمر في عبادتهم للثعبان تعود إلى كونها خطرة جداً إذ لم يكونوا ليسلموا منها هم وحيواناتهم، لاسيما وأنها كانت كبيرة الحجم بحيث تتمكن من ابتلاع إنسانٍ بأكمله، وبعد أنْ تعمّر تلك الأفاعي تذهب إلى الكهوف وتبدأ أسنانها بالسقوط، كما أن حالة الخوف تلك كانت قد أوصلتهم إلى الحد الذي يعتقدون فيه أنهم إذا ما مشى أحدهم على أثرها فسوف يموت، وإذا قُتلت، وأمسك القاتل بما

(١) البكري، المُغرب، ص ١٧٣؛ وانظر: زين الدين عمر بن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر المسمى بتاريخ ابن الوردي، (القاهرة:١٩٧٠): ١/ ١١٢؛ نوري، تاريخ، ص ٤٢ ـ٤٣.

(٢) نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة: عمر الحكيم، (دمشق:١٩٦٠)، ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) البكري، المُغرب، ص١٧٣؛ قداح، إفريقيا الغربية، ص ٣٤-٣٥؛ جوزيف، الإسلام، ص ٥٩.

(4) Ency Of Islam , " Ghana " , vol. 2 , p. 1003- 1004.

قتلها به من عود أو حربة في يده ولم يُلقِها بسرعة فسيموت[١].

وقدست القبائل الإفريقية بعض الأشجار كالجميز، وكانوا يذبحون على جذوعها خرفاناً سوداً قرابيناً لها[٢]، ولا نعلم سبب اختيار (الخراف السود) دون غيرها، كما اعتقدوا أنَّ للأشجار روحاً ولابد من استرضائها بالقرابين والأدعية قبل قلعها[٣].ويبدو من خلال النصوص السابقة أنَّ القبائل البدائيَّة ركزوا في عبادتهم على الحيوان وعلى الغابات كمكان لمعيشته، لا بل حاولوا من خلال أساطيرهم الدمج بين الإنسان والحيوان والمؤاخاة بينهما، وأنَّ الحيوان توأم الإنسان وبذلك يستطيع الإنسان أنْ يظهر في شكل توأمه من الحيوان[٤]، ويعزى الإسراف في مسألة الربط بين الإنسان والحيوان إلى أسبابٍ عّدة منها: وجود رواسب من معتقدات طوطمية كانت تسود الجماعات المتهمة بالانحدار من أصل حيواني، وكذلك جهل الجماعات بعضها بحقيقة بعض بسبب صعوبة المواصلات في الماضي، وعدم الاحتكاك والالتحام بينها، مع جهل بعضها للغات البعض[٥].

كما قدسوا بعض عناصر الطبيعة كالأرض والمياه وما إلى ذلك، ويمكن ملاحظة بعض هذه المعتقدات والطقوس في دولة كانم من خلال بعض النصوص التَّاريخيَّة،

---

(١) أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة:د/ ت): ١/ ١٩٥.

(٢) فتحي غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، (القاهرة:د/ ت)، ص ٢٦ ؛إبراهيم محمد الفحام، المؤثرات السودانية في العقائد والعادات الشعبية في مصر، بحث منشور في مجلة التراث الشعبي، ع٢،س٨، ١٩٧٧، ص٦١.

(٣) عبد القادر محمد سيلا، المسلمون في السنغال (قطر:١٤٠٦هـ)، ص٤٠-٤١.

(٤) محمد محمد الزلباني، تشكل الإنسان في صور الحيوان في المعتقدات الشعبية السودانية على ضوء النظريات الأنثروبولجية والاجتماعية، بحث منشور في مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، ع١٩٧٢،٣، ص ١٨٦؛ النشار، نشأة الدين، ص٩٠.

(٥) الزلباني، تشكل الإنسان، ص ١٨٤.

ومن ذلك ما أورده محمد بيلو في حديثه عن سكان إقليم برنو: " ويفعلون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل أيام الجاهلية، ولهم في ذلك أعيادٌ يجتمعون فيها هم وقرائهم وسلاطينهم، ويسمون ذلك عادة البلد، ويزعمون أن ذلك صدقات يستعينون بها على جلب المصالح ودرء المفاسد، فإذا لم تفعل تلك العادة بطلت معائشهم، وقلَّت أرزاقهم، وضعفت شوكتهم، وتوارثوا هذه العوائد كابراً عن كابر"[١].

ومن الجدير بالذكر أنَّ تقديس مظاهر الطبيعية ناتجٌ من عمق الإحساس بالروابط الوثيقة التي تربط المجتمع البدائي بالبيئة الطبيعية، إذ إنَّ من الشائع في هذه المجتمعات الاعتقاد بأنَّ للأشياء أرواحاً تحل فيها كالأشجار والأحجار والأنهار ... الخ، ولها تأثيرها الكبير على حياتهم، مما يستلزم تقديسها وإقامة الطقوس الدينية المناسبة حسب اعتقادهم[٢].

كما قدّس البورانا – قوم من الجالا –[٣] حيوانات كالتمساح والثعبان والبومة[٤]، وكما في شرق إفريقيا فإَّن تقديس الحيوانات قد امتد إلى وسطها، وكان للخروف في منطقة بحيرة تشاد مكانة مقدسة ولاسيما عند جماعات الصو، لذلك برزوا في صناعة الفخار على شكل الخراف[٥]، ويبدو أنَّ عبادة الخروف قد وصلت إلى إفريقية جنوب

---

(١) انفاق الميسور، ص ٩.

(٢) زناتي، الإسلام والتقاليد، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٣) الجالا: وهم مهاجرون حاميون عبروا خليج عدن ومضيق باب المندب إلى شاطئ إفريقية في العصور القديمة، واستقروا في بلاد الصومال بين وادي ويبي وخليج عدن، واختلطوا مع الزنوج وتزاوجوا معهم. أنظر: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفداء، تقويم البلدان، (باريس:١٨٤٠م)، ص٣٧٠-٣٧١؛ عمر سلهم صديق، الحركة الصليبية في ساحل شرق إفريقيا (٦٦٩-٩٥٠هـ/ ١٤١٥-١٥٤٣م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل:٢٠٠١م)، ص١٤.

(٤) محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الإفريقية، (القاهرة:١٩٦٥م)، ص ٢٣٩.

(٥) ديشان، الديانات، ص٣٦.

الصحراء عن طريق مصر، إذ كانوا يرمزون إلى معبودهم خنوم[١] بصنم على شكل كبش[٢].

لقد قنع بعض الأفارقة ولاسيما السَّاكنين في شرق إفريقية بأنَّ تلك الأرواح حلَّتْ في صنمٍ بدل الإنسان أو الحيوان، وهذا الأمر ربَّما كان قد انتقل إليهم من مناطق اليمن والجزيرة العربيَّة عموماً؛ لقرب السواحل بين الجانبين، لقد كان لكل فئةٍ أو مجموعةٍ من السكان هناك صنمٌ خاصٌّ بهم، فكان الصنم الذي يعبده الرنافج يسمى (حجافوا)[٣]، وهناك فئةٌ أخرى تصب على معبودها المصنوع من الحجارة دهن السمك الكبار[٤]، وفي بلاد الحبشة كانت عبادة سكان اكسوم ترتكز على تقديس إله الحرب والذي كانوا يطلقون عليه اسم (محرم)، ويعزون إليه نصرهم في المعارك التي يخوضونها[٥]. وكان سكان الحبشة بشكلٍ عامٍ وثنيين، ولاسيما قبل اعتناقهم النصرانية كديانة سماوية ومن ثَم إسلام بعضهم في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي[٦]، وكان أبناء القبائل البدائيَّة يعبدون الأصنام التي يصنعونها بأيديهم من مواد مختلفة

---

(١) خنوم: وهو احد ابرز الالهة في الديانة المصرية القديمة، وصور على هيئة كبش أو رجُل برأس كبش، وعُبد كإله للخصوبة والفيضان. ينظر: اميرة فكري، رموز مصر القديمة – خنوم إله الخصوبة، مقال على موقع الثقافة على النت، منشور في ٢١ ابريل ٢٠٢٢م.

(٢) محمد إبراهيم بكر، دراسة في المعتقدات الدينية في مصر القديمة وصلتها بحضارة السودان القديم، بحث منشور في مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، ع٣، ١٩٧٢، ص١٣٢.

(٣) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، البلدان، (النجف:١٩٥٥)، ص ٣٣٧؛ المقريزي، المواعظ: ١/ ١٩٧.

(٤) ابن سعيد المغربي، كتاب بسط الأرض، ص١٥.

(5) E.A.Wills Budge, A History of Ethiopia: Nubia and Abyssinia Anthropological publications , (London: 1966) , vol. 1 , p. 243.

(٦) الاصطخري، المسالك، ص ١٨؛ أبي القاسم محمد بن علي النصيبي ابن حوقل، صورة الأرض، (بيروت:١٩٧٩م)، ص٥٠.

كالبرونز والأخشاب والطين والأحجار، ويتقربون إليها بالقرابين الضخمة[١]، وكان سكان مملكة دمدم يذهبون إلى قاعةٍ موجودةٍ في بلدهم وعليها صنم في صورة إمرأة، يبتهلون له ويحجون إليه[٢]، ويطلق المؤرخ البكري على تلك الأصنام اسم الدكاكير[٣]، ولكل بطنٍ من بطون البجة الداخلة كاهنٌ يقتدون به[٤].

فضلاً عن ذلك فقد انتشرت تعاليم المجوسية[٥] بين افراد القبائل البدائيَّة الإفريقية[٦]، فأشار اليعقوبي إلى أنَّ سكان مملكة بلقين في بلاد البجة كانت ديانتهم الوثنية، ((يضارعون فيه المجوس والثنوية، فيسمّون الله عز وجل الزنجير الأعلى، ويسمون الشيطان صحى حراقه))[٧]، ويصف الأنصاري ديانة الحبشة بقوله: ((إنَّ الحبشة العليا كفار عراة، ودينهم المجوسية يعبدون الأوثان، ويسمونها الدكاكير))[٨].

كما إن هناك من النوبة من يعبد الشمس والنار[٩]، ويذكر الوزان، أنَّ ((الأفارقة في قديم الزمان مجوسٌ على غرار الفرس الذين يعبدون الشمس والنار، وكان لهم معابد مزدانة تكريماً لهذه وتلك وكانت النار توقد داخلها وتُحرس ليل نهار حتى لا

(١) نوري، تاريخ، ص٤٠؛ الالوري، موجز تاريخ، ص١١٥.

(٢) البكري، المُغرب، ص١٨٣.

(٣) البكري، المصدر نفسه، ص١٧٦.

(٤) انظر: المواعظ: ١/ ١٩٧.

(٥) المجوسية: عقيدة دينية فارسية قديمة تقوم على تقديس الكواكب والنار، جددها زرادشت فيما بعد، ولعل سبب تقديسها للنار أنها لم تحرق النبي إبراهيم وكانت عليه برداً وسلاما، كما أن تعظيمهم لها ينجيهم من العذاب في اليوم الآخر. أنظر: حسين علي حمد، قاموس المذاهب والأديان، (بيروت:١٩٩٨)، ص١٨١

(٦) البكري، المُغرب، ص ١٧٢؛ مجهول، الاستبصار، ص ٢١٧.

(٧) اليعقوبي، تاريخ، ١/ ١٩٢.

(٨) انظر: نخبة الدهر، ص ٢٨٦.

(٩) المقريزي، المواعظ: ١/ ١٩٣؛ الوزان، وصف إفريقيا: ٢/ ١٦٠.

تنطفئ))[١]، كما يشير الزهري، إلى مقاطعة المسلمين لقبيلة أميمة – إحدى قبائل جناوة – ((لاعتناقهم المجوسية، ولكفرهم لا يدخل إليهم أحد، ولا يجلب إليهم من الأمتعة شيء))[٢]، كما قدس بعض النوبة قبل تنصرهم الكواكب ونصبوا التماثيل لها[٣].

وخلاصة القول في فهم الأفارقة للدين قبل إسلامهم أنَّ جميع الديانات الإفريقية التقليدية تعتقد فيما وراء الموت بشكل أو بآخر، وتعتقد أن المتوفى تستمر حياته بعد موته في عالم الأرواح، واتصاله بأقاربه الأحياء، بل تستمر رعايته لهم كما كان يفعل في حياته، وتقديس الأفارقة لهذه الأرواح ناجمٌ عن اعتقادهم أن هذه الأرواح هي وسيلة الاتصال مع الله الموجود في السماء وهو منزه عن الاتصال بالبشر بشكل مباشر[٤].

وأمام كل تلك المعتقدات التي جمع بينها عامل مشترك وهو الروح كان دور الديانات السماوية اليهودية والنصرانية ضعيفٌ جداً، ولم تتأثر بها سوى مناطق جغرافية صغيرة قياساً لمساحة إفريقيا الشاسعة، فلم تتأثر باليهودية سوى أجزاء من الحبشة فيما انحسرت النصرانية في مناطق سودان وادي النيل (بلاد النوبة) المقابلة للصعيد المصري، ومّما يؤكد عدم وجود اليهود في الحبشة بكثرة، وعدم أهميتهم، هو إغفال المؤرخين المسلمين كالمسعودي والعمري والمقريزي والقلقشندي، لذكرهم فيها، إذ لم يؤثروا في تاريخ المنطقة[٥]، كما أن أولئك اليهود عاشوا منعزلين عن بقية السكان من النصارى، فعاشوا في قرى ومدن منعزلة عن الأمهريين النصارى لدرجة

---

(١) الوزان، وصف إفريقيا: ١/ ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) الزهري، كتاب الجغرافيا، (بيروت:١٩٧٠م)، ص ١٢٥.

(٣) المقريزي، المواعظ: ١/ ١٩٢.

(٤) جاك مندلسون، الرب والله وجوجو، ترجمة: إبراهيم أسعد محمد، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٧١)، ص٩-١٠.

(٥) جوبان، أنتشار الإسلام في الحبشة، ص ٧٩.

تحرم عليهم الدخول في منازلهم أو الطعام معهم[١]، أو تزويجهم بناتهم، كما يندر أن يتزوج اليهودي الحبشي من فتيات نصرانيات، وكان أولئك اليهود ملتزمين بتعاليم دينهم محافظين على شعائره ولاسيما حرمة السبت، الذي يبدأ الاستعداد له من ظهر يوم الجمعة، فيذهب كل من لا يقعده المرض إلى الأنهار فيغتسلون ويلبسون لباساً جديداً[٢].

وكان اليهود في إفريقية جنوب الصحراء معزولين لا يرغب أحد بمعاشرتهم، وكان حاكم مدينة تمبكتو عدواً لدوداً لهم لا يريد أن يقطن أحداً منهم في المدينة وإذا علم بمخالطتهم أو الإتجار معهم صادر أموال ذلك التاجر[٣]، كما كانوا عرضة للسبي إذا ما خرجوا من أماكن تجمعهم في الحبشة، فكان أهل مدينة زافون يسبونهم من قبائل لملم واميمة[٤]؛ ولهذا لم يكن لأولئك اليهود أي اثر في تاريخ المنطقة.

ولا يُعرف على وجه الدقة فيما إذا كانت الديانة اليهودية قد استطاعت فعلاً من النفوذ إلى المناطق الداخلية وصولاً إلى غرب إفريقيا قبل مجيء الإسلام (القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي)، فقد كان نفوذ اليهودية محدداً إذ لم تتمكن من الدخول إلى أفئدة القوم بوضوح، كما لم تتمكن من كسر الحواجز المختلفة بين الشمال والجنوب من جهة والشرق والغرب من جهة أخرى كما فعل الإسلام والمسلمون، غير أنَّ من الواضح تاريخياً أن الديانة اليهودية وكذلك النصرانية قد سجلت تواجداً ملحوظاً في

---

(1) Trimingham , Islam In Etheopia , P. 27.

(٢) جوهر، الحبشة، ص ٩١.

(٣) الوزان، وصف إفريقيا، ص١٦٧.

(٤) الزهري، كتاب الجغرافيا، ص ١٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١١. وقبائل لملم: قبائل وثنية زنجية تسكن إلى الجنوب من بلاد السودان الغربي وبعض مناطق السودان الاوسط وقد أشتهر عنها أن فيها من يأكل لحوم البشر وافراد هذه القبائل يعرفون أنفسهم بعلامات تميز قبيلة عن أخرى وذلك بكي تلك العلامة المميزة على الوجه والأصداغ. ينظر: نوري، تاريخ، ص٢٩٨.

شرق إفريقيا فيما بعد[١].

إلَّا أنَّ ذلك الأمر اختلف مع ظهور الإسلام ووصوله إلى إفريقية عن طريق التجار والهجرات، فقد بدأت منذ السنوات الأولى لوصول التجار المسلمين إلى إفريقية عملية تغيير مفهوم القبائل الإفريقية للدين، فأصبحت فكرة تقديس الروح مرفوضة في ظل وجود الله تعالى والتي تمكن التاجر المسلم من نقلها للتاجر الإفريقيّ، ومن ثم باقي فئات المجتمع الإفريقية، فالإفريقي رأى أمامه رجلاً يرتدي ملابس نظيفة محتشمة، فدفعه فضوله للسؤال عن سبب تلك الحشمة والنظافة فسمع الرد من التاجر أن الإسلام فرض عليه ذلك، وهو ما سهل للتاجر مهمة شرح الإسلام وجوهره للإفريقيّ، كما أن تعامل التاجر مع الأفارقة في مجال العمل وابتعاده عن الربا أثار لدى شعوب إفريقية أسئلة أخرى مكنت التجار من التقرب من الأفارقة وشرحها لهم[٢].

فضلاً عن ذلك فإن صدق التاجر في مواعيده وعدم غشه للبضائع قرب الأفارقة منه ودفعهم للتعامل مع ذلك التاجر بمصداقية وتعاون، وأمام تطور العمل التجاري قرر التاجر المسلم البقاء في إفريقيا مدة أطول، وبالتالي أصبح بحاجة للزواج وتكوين أسرة لينتهي الأمر بإسلام الزوجة ومن ثم أسرتها مما ولد شعور لدى التاجر بنجاحه في مسعاه بشقيه التجاري والدعوي[٣].، وذلك النجاح اسفر عن قيام ثلاث ممالك إسلامية في غرب إفريقية خلال مدة البحث وهي على التوالي مملكة غانة ثم دولة مالي الإسلامية ثم دولة الصنغاي الإسلامية، وفي وسط إفريقية امبراطورية الكانم برنو، وفي الشرق ممالك الطراز الإسلامي ومدن الساحل الشرقي الإفريقية[٤].

(١) محمد، دولة كانم، ص٣٦.

(٢) نوري، تاريخ، ص٤٢.

(٣) توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، (القاهرة: ١٩٧٠م)، ص٤٥٤.

(٤) نوري، تاريخ، ص٨٧-٩٢.

إن أول مايودُّ الإنسان أن يحصل عليه من أي تغيير يحدث سواء كان سياسياً أو دينياً هو تحوله من حال سيء لأفضل حال وهو مالمسه الأفارقة حال تغييرهم لمعتقدهم الوثني بالإسلام، فهم في ظل الوثنية سواء في بلدهم أو في البلدان التي ذهبوا إليها كرقيق ولاسيما في شبه الجزيرة العربية اعتادوا على أن أرواحهم وكل ما يملكون ملك لسادتهم، لكنَّهم وحال دخولهم الإسلام فهموا أنهم أحرار، ولا فرق بينهم وبين سادتهم، وهو ما أكدته السنة النبوية الشريفة عبر قول النبي محمدﷺ: "ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى"(١).

ساعدت الدعاة المسلمين ممثلين بالتجار والمهاجرين والمتفقهين بالدين عدة عوامل في مهمتهم لتغيير مفهوم الأفارقة للدين وتحولهم للإسلام، ويأتي في مقدمة تلك العوامل بساطة العقيدة الإسلامية، فالإفريقيّ الذي كان يريد أن يتحول لليهودية كان يصطدم بغلق باب ذلك التحول بوجهه، كونها ديانة مغلقة لا تسمح بالانتماء لها من خارجها، وإذا ما رغب في دخول النصرانية فسيكون أمامه عدة أمور لابد له من القيام بها واستكمالها قبل انضمامه، أما دخوله الإسلام فلم يكن يتطلب منه سوى النطق بالشهادتين(٢)، ويشير ارنولد إلى بساطة الدخول في الدين الإسلامي بقوله: "إن هذه العقيدة البسيطة لا تتطلب تجربة كبيرة للإيمان، ولا تثير في العادة مصاعب عقلية خاصة، وإنها لتدخل في أحط دركات الفهم والفطنة"(٣).

وتلك البساطة في العقيدة اليسيرة في الانتماء لهذا الدين دفعت الكثير من الأفارقة إلى تغيير مفهومهم للدين، فمجرد التفكر في أساسيات الدين الإسلامي والمتمثلة بالشهادتين ارتقت بإفريقيا عقلياً ومنطقياً، وجعلته ينتمي لمجتمع جديد

(١) احمد بن حنبل، مسند الإمام احمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، (بيروت:١٩٩٩م) :٣٨/ ٤٧٤.

(٢) نوري، تاريخ، ص٥٦.

(٣) ارنولد، الدعوة، ص٤٥٤.

حامل للحضارة بدل المجتمع البسيط الذي كان ينتمي إليه، كما أنه توافق بين ما كان يعتقده الإفريقيّ رغم وثنيته من وجود ربٍّ للكون، وبين ما جاء به الإسلام من وحدانية.

خلاصة واستنتاجات:

١-أهم ما ميّز المعتقد الدينيّ في إفريقيا جنوب الصحراء سيادة المعتقدات البدائيَّة على الديانات السماويَّة، ولاسيما في القرون الإسلاميَّة الخمس الأولى، أو حتى وقتٍ متأخرٍ في المناطق الواقعة في والقريبة من الغابات الاستوائيَّة بسبب انعزال سكان المنطقة عن العالم آنذاك نتيجة جرافيَّة المنطقة التي فصلت إفريقيا عن غيرها من المناطق مثل الصحراء الكبرى

من الشمال، والمحيط الأطلسيّ من الغرب والمحيط الهنديّ من الشرق.

٢-على الرغم من أنَّ بعض الأفارقة لم يقنعوا بمعتقداتهم البدائيَّة الوثنيَّة، إلا أنَّ الكاهن أو رجل الدين كان له الدور الفاعل في إقناع السكان بتلك المعتقدات بسبب المنافع الماديَّة التي تطل عليه نتيجة تقديم السكان القرابين للآلهة التي يقدسها.

٣-كانت الروح هي المحور الأساس في ديانة الأفارقة، بُنيت عليها جميع المعتقدات الوثنيَّة الأخرى.

٤-حينما قرر الأفارقة تقديس الروح اختاروا أرواح رموزهم لتكون هي المقدسة من بين جميع الأرواح، فكل فردٍ قدس روح جده الأعلى البعيد الوفاة، كما قدس أبناء القبيلة روح شيخ القبيلة المتوفى قبل مدةٍ بعيدةٍ.

٥-ربط الأفارقة بين الروح وكل ما يتعرض له من خيرٍ وشرٍ، واقنع نفسه أنَّ غضب الروح لا يمكن أن يتم تجاوزه.

٦-الشيء المشترك بين الأفارقة الوثنيين وغيرهم من الشعوب الوثنيَّة هو رغبتهم في تقديس شيءٍ ملموسٍ رغم قناعتهم بضرورة وجود إلهٍ اعلى، فالآلهة

الصغرى التي يمثلها الكاهن في بعض الأحيان ملموسةٌ وماثلةٌ أمام أعينهم؛ ولهذا كان تقديسها اكبر، وهي ذاتها التي قربت كفار شبه الجزيرة العربيَّة إلى الله زلفى.

٧-اقتنع الأفارقة بأنَّ الروح يمكن أنْ تحل في كائناتٍ حيوانيَّةٍ أو نباتيَّةٍ مثلما حلت في الإنسان، وهو ما حصل فعلاً حينما حلت روح الإله في الأفعى والبوم والتمساح وشجرة الجميز وغيرها الكثير.

٨-تأثر مناطق شرق إفريقيا ولاسيما الساحل بمعتقدات شبه الجزيرة العربيَّة الوثنيَّة كتقديس الأصنام والمجوسيَّة وتقديس الكواكب والنجوم، وذلك لقرب ساحل إفريقية من الساحل العربيّ.

٩-ربط ألإفريقي بين فهمه للدين وحياته اليوميَّة، فكل ماي صادفه من خيرٍ أو شرٍ كان يقف وراءه عاملٌ دينيٌّ، فالروح تراقب وتعاقب أو تكافئ.

١٠- فهم ألإفريقيّ أنَّ وجهه الحقيقي مليءٌ بالخطايا والآثام وعليه لابد من تغطيته حينما يريد الإنسان أن يقابل الإله ولاسيما في الأعياد كعيد الغول، ولذلك لجأ إلى ارتداء الأقنعة.

١١- رغم كل تلك القناعات لدى القبائل البدائيَّة الإفريقيَّة إلَّا أنَّ الفطرة السليمة الموجودة لديهم دفعتهم لقبول الدين الإسلاميّ حينما وصل إليهم.

١٢- فهم الأفارقة الدين بعد وصول الإسلام إلى بلادهم عبر مفردات التسامح والمساواة والطيبة ونظافة القلب، والبدن فضلاً عن الكرامة ورفع مكانة الأُسرة ولاسيما المرأة كونها أمٌ واختٌ وزوجةٌ، فتمسكوا به وعملوا على نشره.

١٣- الأمر الذي زاد من فهمهم للإسلام وتعرفهم عليه جيداً هو وصول المستعمرين الغربيين إلى بلادهم والذين اعترفوا فيما بعد أنَّ الإسلام يصلح كدينٍ للسود فيما تميزت المسيحيَّة بانها دين البيض فقط.

شكل رقم (١)

نماذج للطوطم الذي قدسته القبائل إفريقية

شاكر محمود كريم الحميري وأخر، تمظهرات الطوطمية في النحت المعاصر، مجلة نابو للبحوث والدراسات، ع٥٢، تشرين الأول ٢٠٢٥، ص٦٨٨.

شكل رقم (٢)

الثعبان المقدس

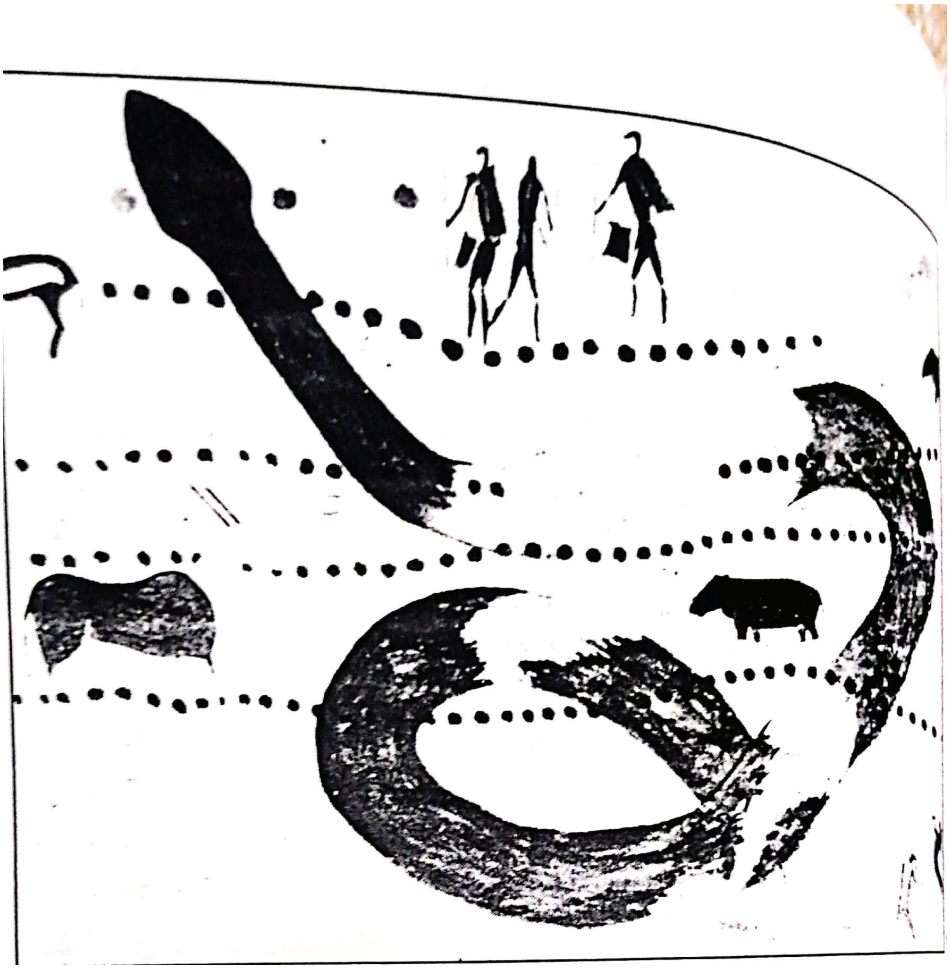

بشار اكرم جميل، رمزية الثعبان لدى القبائل الوثنية في إفريقيا جنوب الصحراء، بحث مُعد للطباعة في كتاب قضايا وابحاث في تاريخ المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء الحديث والمعاصر، اتحاد المؤرخين الأفارقة، ٢٠٢٦.

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً: المصادر الأولية :

الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد.

١- المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، مراجعة: محمد شفيق غربال، دار القلم (القاهرة: ١٩٦١م)

الانصاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بشيخ الربوة.

٢- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (لايبزك:١٩٢٣).

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز

٣- المُغرب في ذكر بلاد إفريقياة والمغرب، (الجزائر: ١٨٥٩م).

الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي.

٤- الروض المعطار في خبر الأقطار، (بيروت:١٩٨٤).

ابن حنبل، احمد.

٥- مسند الإمام احمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، (بيروت:١٩٩٩م).

ابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي النصيبي.

٦- صورة الأرض، (بيروت: ١٩٧٩م).

ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر.

٧- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، (بيروت: ١٩٦٨).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر.

٨- مختار الصحاح، (بيروت: ١٩٩٥).

الزهري، أبي عبيد الله محمد بن أبي بكر.

٩- كتاب الجغرافيَّة، اعتنى بتحقيقه: محمد حاج صادق (دمشق:١٩٦٨).

ابن سعيد المغربي، أبي الحسن علي بن موسى.

١٠- كتاب الجغرافيَّة، (بيروت: ١٩٧٠).

١١- كتاب بسط الأرض في الطول

والعرض، (تطوان:١٩٥٨م).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر.

١٢- تقويم البلدان، (باريس: ١٨٤٠م).

مجهول، مؤلف.

١٣- الأستبصار في عجائب الأمصار وغرائب الاسفار، (الاسكندرية: ١٩٥٨م).

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر.

٤١- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة: د/ ت).

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.

١٥- لسان العرب المحيط، ط٦، دار صادر للطباعة، (بيروت:١٩٩٧).

ابن الوردي، زين الدين عمر.

١٦- تتمة المختصر في أخبار البشر المسمى بتاريخ ابن الوردي، (القاهرة:١٩٧٠).

الوزان، الحسن بن محمد الفاسي.

١٧- وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، (الرباط:١٩٨٢).

ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله.

١٨- معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت: د/ ت).

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح.

١٩- البلدان، (النجف:١٩٥٥).

ثانياً: المراجع العربية والمعربة :

ارنولد، توماس.

١- الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، (القاهرة :١٩٧٠م).

اسود، عبد الرزاق محمد.

٢- المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، (بيروت:١٩٨١).

الالوري، أدم عبد الله.

٣- موجز تاريخ نيجيريا، (بيروت:١٩٦٥).

جوزيف، جوان.

٤- الإسلام في ممالك وامبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي، ط١، دار الكتاب اللبناني و دار الكتب الإسلامية، (القاهرة:١٩٨٤).

جوهر، حسن محمد.

٥- الحبشة (القاهرة: د/ ت).

حمد، حسين علي.

٦- قاموس المذاهب والأديان، دار الجيل، ط١، (بيروت:١٩٩٨م).

ديشان، هوبير.

٧- الديانات في إفريقيا السوداء،، ترجمة: أحمد صادق حمدي، مراجعة: محمد عبد الله دراز، دار الكتاب المصري، (القاهرة :١٩٥٦).

روسو، هيرفة.

٨- الديانات، ترجمة: متري شماش، (بيروت: د. ت).

زناتي، محمود سلام.

٩- الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقيا، (بيروت:١٩٦٩م).

زيدان، جرجي.

١٠- طبقات الامم، (بيروت: ١٩٦٩).

سيلا، عبد القادر محمد.

١١- المسلمون في السنغال (قطر: ١٤٠٦هـ).

عابدين، عبد المجيد.

١٢- تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها حتى العصر الحديث، (بيروت: ١٩٦٧).

علي، جواد.

١٣- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت:١٩٦٩).

غيث، فتحي.

٤١- الإسلام والحبشة عبر التاريخ، (القاهرة:د/ ت)

قداح، نعيم

١٥- حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، (دمشق:

١٩٦٥).

١٦- إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة: عمر الحكيم (دمشق: ١٩٦٠).

كرستنس، جيمس.

١٧- الوظائف التكيفية للنظام الكهنوتي عند الأفانتي، بحث منشور في كتاب الثقافة الإفريقية.

محمد، محمد عوض.

١٨- الشعوب والسلالات الإفريقية، (القاهرة:١٩٦٥م).

مندلسون، جاك.

١٩- الرب والله وجوجو، ترجمة: إبراهيم أسعد محمد، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٧١)،

النشار، علي سامي.

٢٠- نشأة الدين والنظريات التطورية والمؤلهة (الاسكندرية: ١٩٤٩).

النقيرة، محمد عبد الله.

٢١- انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له، (الرياض: ١٩٨٢م).

نوري، دريد عبد القادر.

٢٢- تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء القرن ٤-١٠ه/ ١٠-١٦م، (الموصل:١٩٨٥).

البحوث والمقالات:

بكر، محمد إبراهيم.

١- دراسة في المعتقدات الدينية في مصر القديمة وصلتها بحضارة السودان القديم، بحث منشور في مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، ع٣، ١٩٧٢.

الزلباني، محمد محمد.

٢- تشكل الإنسان في صور الحيوان في المعتقدات الشعبية السودانية على ضوء النظريات الأنثروبولجية والاجتماعية، بحث منشور في مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، ١٩٧٢، ع٣.

الفحام، إبراهيم محمد.

٣- المؤثرات السودانية في العقائد والعادات الشعبية في مصر، بحث منشور في مجلة التراث الشعبي، ع٢،س٨، ١٩٧٧.

فكري، اميرة.

٤- رموز مصر القديمة – خنوم إله الخصوبة، مقال على موقع الثقافة على النت، منشور في ٢١ ابريل ٢٠٢٢م.

الرسائل والاطاريح:

جوبان، محمد محفوظ عمر.

١- أنتشار الإسلام في الحبشة -دراسة في التأثيرات السياسية والاقتصادية -، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل: ٢٠٠١م).

صديق، عمر سلهم.

٢- الحركة الصليبية في ساحل شرق إفريقيا (٦٦٩-٩٥٠ه/ ١٤١٥-١٥٤٣م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل:٢٠٠١م).

فتاح، فوزية يونس

٣- التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل:١٩٩٤).

محمد، شوكت عارف محمد.

٤- دولة كانم الإسلامية دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية من القرن ٥-٨ه/ ١١-١٤م، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل:١٩٩٦).

الكتب الأجنبية:

1- E.A.Wills Budge, A History of Ethiopia: Nubia and Abyssinia Anthropological publications , (London: 1966) , vol. 1.

Ency Of Islam , " Ghana " , vol. 2. 2-

Trimingham , Islam In Etheopia , (oxford university: 1976). 3-